مقـــدمـــة

يحتل أفلاطون بين فلاسفة العالم مكانة خاصة لم يرق إليها أحد من قبله ولا من بعده، فهو الذى رسم للتفلسف منهجه الحق، وكان خير مَنْ طبق هذا المنهج. وما ذلك المنهج إلاّ أن أفلاطون قد رأى أنه لا يمكن القطع بأى رأى حول أى موضوع من موضوعات الفكر البشرى ببساطة ودوجماطيقية. وقد اتضح ذلك من محاوراته، فهى خير تعبير عن تطبيقه لذاك الرأى.

ولعلّ ذلك المنهج الأفلاطونى هو الذى حيرّ الباحثين فى فلسفته منذ القدم، إذْ أنه قد أدّى إلى فتح الطريق أمام اجتهادات كل منهم ليفهم أفلاطون كما يحلو له، بالتركيز على بعض المحاورات دون بعضها وتلك الاجتهادات قد أدّت إلى اختلاف التفسيرات حول فلسفته. ومنها نشأت صعوبة البحث المعاصر فى فلسفة أفلاطون. ولا يمكن لأى باحث أن يستقصى كل ما كُتِب حول أفلاطون بلغات الدنيا كلها. ومن ناحية أخرى لا يمكن لأى باحث القطع بأن رأيه هو الصائب فى دراسته لأفلاطون، وإلاّ خالف أساساً من أسس الفلسفة الأفلاطونية.

وإذا كان ذلك كذلك فى كل مجالات تلك الفلسفة الأفلاطونية فإنها تبدو بوجه خاص فى مجال البحث حول الألوهية عنده، مما حدا بالباحثين منذ القدم إلى عدم إفراد فصول مستقلة لدراسة فهم أفلاطون للألوهية، إمّا هروباً من صعوبة بحثها لديه، إذْ أنها مرتبطة لديه بكل أجزاء فلسفته أو إغفالاً منهم لأهم جانب من جوانب تلك الفلسفة، التى إن بحثت فى أى جزء منها وجدت ذروته مرتبطة بالألوهية.

وهذا يرجع فى النهاية إلى عالم المُثُل الذى افترضه أفلاطون، وجعله موطن الحقيقة المطلقة، هى المعرفة الحقيقية وما عداها ظن ووهم. فإذا حاول أحد البحث فى الأخلاق عند أفلاطون وجد نفسه منساقاً إلى مثال الخير، وإذا حاول البحث فى الفن

obeikandl.com

وجد نفسه منساقاً إلى النظر فى مثال الجمال ومثال الحب، وإذا حاول البحث فى السياسة وجد نفسه منساقاً إلى معرفة مثال العدالة وهكذا.. أمّا إذا كانت المحاولة بحثاً عن الألوهية لديه فإن الباحث يجد نفسه منساقاً إلى البحث المضنى فى كل هذه المُثل لأنها جميعاً متصفة بالأزلية والأبدية، ومحاطة بأسمى آيات التقدير والسمو لدى أفلاطون وكل منها يمثل إمّا إلهاً أو صفة لذلك الإله على أقل تقدير.

بالإضافة إلى ذلك، فإنه لزاماً على الباحث فى الألوهية لدى أفلاطون أن ينظر في الصانع الأفلاطوني وهل هو الإله، أم أنه مجرد مساعد لمثال الخير الذي يرى البعض أنه هو الإله لدى أفلاطون. ولذا فقط ارتبط البحث فى الألوهية عند أفلاطون بنظريته في المُثُل.

ولّما كان البحث فى تلك الفكرة والوصول فيها إلى نتائج ذات قيمة، من الصعوبة بمكان نظراً لاختلاف الآراء وتضاربها تبعاً لاختلاف التفسيرات لنصوص أفلاطون، فإننا قد رأينا ضرورة أن يسير البحث فى اتجاهين، نحصر بينهما البحث فى فكر ونصوص أفلاطون، وأول هذين الاتجاهين: استقصاء آراء الفلاسفة السابقين على أفلاطون في الألوهية. وقد أدّى بنا هذا الاستقصاء إلى الفكر الشرقي القديم الذي تعرّف عليه أفلاطونى وأخذ منه في الألوهية بكثير من العناصر التي قد تفوق أخذه من الفلاسفة اليونانيين السابقين عليه. أمّا الاتجاه الثاني، فقد خصصناه لدراسة تأثير الألوهية - كما تصوّرها أفلاطون - في الفكر الديني، وبالذات في الفكر الإسلامي، وكذلك في الفكر الحديث والمعاصر لعلنا نتعرّف على آراء سديدة حول ألوهية أفلاطون، وكذلك لنعرف إلى أي حد أثّر أفلاطون من خلال بحثه الإلهي في مَنْ تلاه من الفلاسفة حتى اليوم. وهل هذه التأثيرات قد جاءت عن فهم لطبيعة ذلك التصور الذي وصل إليه أفلاطون أم لا. وقد أفردنا فى نهاية الباب الرابع فصلاً لإيراد نتائج دراسة هذه التأثيرات، وضعنا فيه مفهوم أفلاطون للألوهية تحت مجهر العقلانية الصرفة التي تستفيد مما ورد لدى الباحثين المحدثين

والمعاصرين للألوهية وكذا مما ورد فى الكتب المنزلة حول الله وتنزيهه ومدى علمه وفاعليته فى العالم.

وبين ذلك الاتجاه والأخر وفى البابين الثانى والثالث، كانت دراستنا لتصور أفلاطون في الألوهية حيث رأينا أن تكون على مرحلتين، الأولى لدراسة كيف ارتبط تصوره للألوهية بنظريته في المُثُل وفيها درسنا ارتباط الألوهية بعالم الطبيعة لديه متمثلاً فى الصانع، وارتباط الألوهية بعالم القيم متمثلاً فى مثال الخير ومثال الجمال ومثال العدالة، وأخيراً ارتباط الألوهية بنظرية أفلاطون فى المعرفة والتى كان هدفها فى النهاية الوصول إلى الحقيقة المطلقة والكشف عن طبيعة الإله ومعاينتها.

أمّا المرحلة الثانية فقد رأينا أن تكون لبلورة أفكار أفلاطون فى الألوهية ومحاولة تنسيقها حسب ما جرت عليه عادة الباحثين حين البحث فى الألوهية. فأفردنا فصلاً عن نظرية الخلق عند أفلاطون، وهل كان حقاً لدى أفلاطون فكرة الخلق من العدم، كما ادّعى البعض، أم أنه كغيره من الفلاسفة اليونانيين لم يرق إلى ذلك التصور الذي كان الفضل فيه للرسالات السماوية المنزلة؟. وفى الفصل الثانى من ذلك الباب حاولنا استخلاص براهين أفلاطون على وجود الإله من خلال نصوصه. أمّا الفصل الثالث فقد خصصناه لبيان صفات الإله لدى أفلاطون والكشف عن مدى سموها واقترابها من صفات الإله كما بيّنتها الكتب المقدسة.

هذا ونسير فى دراستنا هذه وفق منهج عقلى يلتزم بالنص وتحليله لدى أفلاطون ولدى مَنْ أثّروا وتأثّروا به كلما أمكننا ذلك. كما نؤكّد أن الموضوعية هى هدفنا الأسمى فى كل ما نسطّره.

ولعلّنا بتلك الدراسة نستطيع أن نضيف شيئاً ذا بال فى مجال البحث فى الفلسفة الإلهية بشكل عام، وفى الفلسفة الإلهية لدى أفلاطون بشكل خاص. وإذا كنا قد استطعنا ذلك، فإن الفضل فيه يجب أن يُردّ فى أغلبه إلى تلك الدراسات الجادة والقيمة التى كتبها الكثير من الباحثين الأفلاطونيين الكبار الذين اعتمدنا عليهم وعلى ترجماتهم القيمة لمحاورات أفلاطون.

obeikandi.com

وإذا كنّا لم نستطع ذلك بصورة تامة، فإنه يكفينا أننا قد حاولنا الخوض فى غمار تلك الفلسفة الأفلاطونية الضخمة رغم صعوبتها وصعوبة الوصول فيها إلى آراء سديدة قاطعة وخاصة فى مجال لم يتعرّض له أحد من قبل على حد علمنا، وأعنى مجال الألوهية.

obeikandl.com